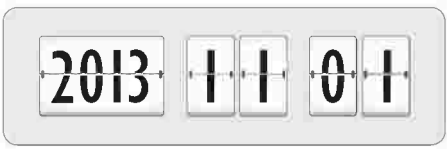

بدأت هيلاري الكلام قائلة: ما قلته لك عن نفسي وأنا مراهقة إلى الآن قد يجعلني أبدو (فاضلة) حقًّا، وبما أنك تريدين أن تعرفي كل شيء عني، فقد قررت أن أخبرك بأنني لم أكن فوق مستوى اللوم دائمًا.

يا إلهي! هل تعني أنها من البشر في النهاية؟ فكرت، ورحت أصغي باهتمام وانتباه استثنائيين، إلا أنني لم أكن مستعدة للقرصة التي شعرت بها في المعدة حين تكلمت. يبدو أن هناك جوانب أكثر من تلك التي حلمت بها ذات علاقة بشخصية هيلاري رودهام كلنتون.

قالت: لدي شيء أعترف به لك يا دكتورة، إذا وعدت بألا تخبري تشلسي. تعلمين أنه حين سئل بل عما إذا تعاطى تدخين الماريجوانا، أقر بأنه فعل، ولكنه لم يستنشق الدخان إلى الرئة. أما قصتي أنا مع المخدرات فأكثر التباسًا بكثير؛ في الستينيات بدأت استكشاف المحرمات والتجارب الاجتماعية المميزة لنمط حياة ذلك العقد، أظن أنني كنت بنت عصري واشتهرت بوصفي إحدى (الهيبيات).

ماذا؟ لم أصدق أذنيَّ، وحاولت كبت مشاعري المصدومة ومنعها من الظهور على وجهي؛ من كان يمكن أن يتصور أن الفتاة الصغيرة الميثودية مفرطة الوجدانية (هيلاري) ذات ماضٍ كهذا؟

حين كنت مراهقة، تجلى تمردي بتعاطي المخدرات؛ كانت لي صديقة (لورين) أخذتني إلى بيتها بعد المدرسة، حدثتني عن انتشاء ابن عمها جيمي عن طريق (تجرُّع) شراب السعال. قلَّبنا ما في خزانة أدوية أبويها ولكننا لم نعثر على المطلوب، ثم اهتدينا إلى علبة (سوكريت)، وتناولتُ كل منا ثلاث حبات، جلست وأغمضت عيني مدة ربع ساعة، غير أن شيئًا لم يحصل، فقررت أن شيئًا لم يحصل وتأهبت للذهاب إلى المطبخ لتناول الطعام.

ما إن هممت بالنهوض حتى بدأت الغرفة تدور مثل (الدويخة)، وأصبت بالدوار وسقطت على الأرض، كانت لورين سريعة الكلام، لم أفهم ما قالته، فتحت عيني وبدأ كل شيء يتباطأ، كما يحصل عندما توقف مشغل الأسطوانات، أخيرًا توقف الدوران كليًّا وتمكنت من التقاط أنفاسي، لم يسبق لي أن أُصبت بمثل ذلك الرعب في حياتي، ومع ذلك فقد قررنا أخذ المزيد من المادة في اليوم التالي.

بعد ذلك بقينا نتناول ما في عبوة السوكريت إلى أن راود الشك صيدلي الحي ورفض بيعنا المزيد، بعد ذلك حاولنا شم صمغ المر، ولكنه بدا شديد الضعف بالمقارنة.

أردت الانتقال إلى شيكاغو حيث يستطيع المرء الحصول على ما يستطيع دفع ثمنه من السوكريت، كذلك أردت الذهاب إلى هناك لأتمكن من لقاء فتى وسيم وتعاطي السوكريت معه. في ذلك الوقت كان أساتذتنا يكلفوننا بمقادير أكثر من طاقتنا من الوظائف البيتية. كان مخدر السوكريت يساعدنا على التحمل.

رغم كل ألوان التوق هذه، نجحت في الحفاظ على نظافتي جل المرحلة الثانوية، غير أنني في خريف سنة تخرجي، وأنا مرهقة من خوض الحملة الانتخابية بعد المدرسة لمصلحة باري غولد ووتر، بدأت أشم شرائح ورقية كي أتمكن من مواصلة العمل، بدأ الأمر كما لو كان شيئًا عابرًا، مؤقتًا، ملاذًا أخيرًا في أيام زاخرة بالضغوط، ثم بدأت أصطحب شرائح مشبعة آخذ منها

شمة صغيرة عند الحاجة. تمثلت الخطوة التالية باصطحاب رزمة كاملة من الشرائح المشبعة في ظرف من المقوى حيثما ذهبت. أقدِّر أن بإمكانك أن تقولي إنني أصبحت مدمنة.

علقتُ ساخرة: أظن أن بإمكانك أن تقولي ذلك.

يوم السبت السابق ليوم الانتخاب، حلت كارثة؛ أُلقي القبض عليَّ وأنا أحاول اقتحام مكتب المديرة لإعادة تذخير شرائحي المخدرة، وبدلًا من الاتصال بالشرطة بادرت المديرة – التي كانت معجبة بي بوصفي زعيمة طلابية في المقام الأول – إلى إطلاق سراحي بعد تنبيهي الصارم إلى ضرورة تغيير سلوكي وإلا. كان ذلك ناجحًا. شيء ما في داخلي كان لايزال منتميًّا إلى الباحث المطيع. أقلعت كليًّا عن شم الشرائح المشبعة.

غير أنني جرَّبت بعد ذلك تعاطي (بيز) للمرة الأولى مع صديقتي لافيرن، علمتني المادة أنني كنت ألهو بحماقة مع سائر المواد الأخرى؛ جعلتني لافيرن أستلقي على الأريكة؛ سحبت رأس (ميكي) إلى الخلف، قطرة صفراء من الحلوى خرجت من فوهة العبوة وسقطت في فمي، قلت (همم) وطلبت المزيد، ابتسمت لافيرن وهزت رأسها.

ثم عدت إلى البيت. كانت أمي تعد طبقًا من الفطائر باللحم وهريس البطاطا، التهمت كل شيء بنهم، فاستغربت أمي، وقالت إنه لم يسبق لها أن رأتني أجهز على مثل هذه الكمية من الطعام بمثل هذه السرعة، بعد ذلك هدني التعب وأويت إلى السرير، وبالكاد استطعت ترديد صلواتي قبل الانطفاء. في اليوم التالي لم أستطع انتظار لقاء لافيرن.

مع كوكتيل (ميدول نو- دوز)، تطلق عليه فتيات ويزلي اسم (ماري الدامية) اهتديت أخيرًا إلى منبهي المثالي. تميز الكوكتيل بكل ما في (بيز) من تنبيه ولكن من دون أي من العواقب الصباحية اللاحقة. لم يكن ثمة أي

إمكانية لإدمان جدي، كنت سأقوم بتلك (الرحلة) مرة واحدة فقط في الشهر. والعثور على (الميدول)، لم يكن صعبًا نظرًا إلى توافره في علب الفتيات الطبية، والحصول على ألـ (نو-دوز) بسهولة من شباب هارفارد وآمهرست الذين كانوا يتزاحمون بكثافة حول مجمع ويزلي السكني كل نهاية أسبوع.

مدرسة الحقوق أحدثت مدة توقف مؤقتة لعادة تعاطي المخدر عندي. على امتداد الجزء الأكبر من سنتي الأوليين في ييل، بقيت غائبة عن التعاطي باستثناء حفنة من مناسبات اللقاءات الخاصة في مهجع أحدهم. وبعد ذلك، في 1970م، حل إدماني على بل كلنتون بدل تعلقي بالمخدرات.

أقلعت عن (الحبش البارد الحلو)، وبعد بضعة أسابيع من صيانة كريميرا تحت إشراف طبي، بدأت أحتسي قهوتي بلا حليب كما لاأزال أفعل إلى اليوم. الاقتران زواجًا ببل في 1975م، والتزامات محامية شابة صاعدة وزوج سياسي مرموق، أديا إلى اختزال حاد لتعاطي المخدرات، وبعد ذلك في 1979م، بعد وقوفي على حقيقة أني حامل بتشلسي، واستعدادًا لدوري الجديد أمًّا، توقفت عن مطاردة المخدرات تمامًا، مئة بالمئة. تأوهتْ ونظرتْ إليَّ، وقالت: حسنًا يا دكتورة، صدمتك؟ ابتسمتُ ولم أكن موشكة على التعبير عما شعرت به؛ ليست هيلاري الوحيدة التي يمكنها أن تتحلى بالحشمة.

بدلًا من ذلك كررت ما سبق لمحلل نفسي حكيم أن قاله ذات مرة: ليست ثقافة المخدرات إلا علة سوسيولوجية. وجدتْ هيلاري ذلك بالغ الإثارة: لم أكن أنا مريضة إذن، المجتمع هو الذي كان مريضًا!

أجبتها: يمكنك قول ذلك.

المراهقة مرحلة زمنية يحرص فيها الناس على الانفصال سيكولوجيًّا عن آبائهم وأمهاتهم. يبدو أن هيلاري كانت شديدة القرب ما أدى إلى إلزامها بالانغلاق الكامل عنهما من أجل أن تصبح فردًا. من الواضح أنها بادرت –

نتيجة لذلك – إلى التخلي عن الآباء والأمهات افتراضًا، جنبًا إلى جنب مع أبيها وأمها الفعليين. إبقاء الأمر في نوع من الفراغ الداخلي الذي حاولت شغله بالمخدرات.

ثم تذكرت شيئًا قالته لي آنا فرويد ذات مرة، أفادت بأن أحدًا لا يستطيع أن يتنبأ بما سيؤول إليه أي شخص عندما يبلغ سن الرشد برصد شخصيته المراهقة. من المؤكد أن آنا أصابت كبد الحقيقة فيما يخص هيلاري. عمليًّا كانت مدمنة مخدرات. ولو كنت أعرفها آنذاك، لما راهنت ولو بقرشين على احتمال تعافيها، وانظروا إليها الآن!